

الآداب المعنوية للدعاء



للدعاء آداب معنوية لطيفة لابد للداعي أن يحسن الالتزام بها وتقديمها التماساً لاستجابة الباري تعالى لدعائه، ومن هذه الآداب:

الأول - حُسن الظن بالله تعالى: إن حُسن الظن بالله متفرعٌ عن معرفته سبحانه.. فعلى الداعي أن يحسن الظن باستجابة دعائه ويتذكر دوماً قوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وقوله: (أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62). ويتيقن بأن الله تعالى لا يخلف الميعاد وسيستجيب دعوته، قال رسول الله (ص): "ادعوا الله وأنتم مؤمنون بالإجابة"، وقال الإمام الصادق (ع): "إذا دعوت فأقبل بقلبك ووطن حاجتك بالباب".

الثاني - الوفاء بعهد الله: على الداعي أن يفي بعهد الله ويطيع أوامره، وهما من أهم الشروط في استجابة الدعاء. عن الإمام الصادق (ع) أنه قال له رجل: جعلت فداك، إن الله يقول: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، وإننا ندعو فلا يستجاب لنا، قال: "لأنكم لا تفنون بعهد الله وإن الله يقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)، وإن لو وفيتهم لوفيتهم".

الثالث - الإقرار بالذنوب: على الدّاعي أن يعترف بذنوبه مقرّاً، مذعناً، تائباً عمّاً اقترفه من خطايا، وما ارتكبه من ذنوب، من دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المروي عن كميل بن زياد: "وقد أتيتك يا إلهي بعدَ تَقصيري وإسرافي على نفسي مُعتذراً نادماً مُنكسراً مُستقيلاً مُستغفراً مُذنباً مُقرّاً مُذعناً مُعتزفاً لا أُجدُ مَفراً ممّا كان مِنِّي ولا مَفزَعاً أتوجّهُ إليه في أمرٍ غيرِ قَبُولِكَ عُذري وإدخالِكَ إِيَّاي في سَعَةِ مِن رَحْمَتِكَ، إلهي فاقبلْ عُذري وارحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي وفُكَّتي مِن شِدَّةِ وَثَاقِي"، فالإمام (ع) قدّم الإقرار بالذنب على الطلب والمسألة.

الرابع - الإقبال على الله تعالى: من أهمّ آداب الدُّعاء هو أن يُقبل الدّاعي على الله سبحانه بقلبه، وعواطفه، ووجوده، وأن لا يدعو بلسانه وقلبه مشغول بشؤون الدنيا، فهناك اختلافٌ كبيرٌ بين مجرد قراءة الدُّعاء، وبين الدُّعاء الحقيقي الذي ينسجم فيه اللسان انسجاماً تاماً مع القلب، فتَهتزُّ له الروح، لكي تحصل فيه الحاجة. قال الإمام الصادق (ع): "إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ بِيْطَاهِرِ قَلْبِهِ سَاهٍ فَإِذَا دَعَا فَوَاقِلْ بِقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالْإِجَابَةِ".

الخامس - ترقيق القلب والخشوع: يُستحبُّ الدُّعاء عند استشعار رِقَّة القلب وحالة الخشية التي تنتابه بذكر الموت والبرزخ ومنازل الآخرة وأهوال يوم المحشر؛ وذلك لأنَّ رِقَّة القلب سببٌ في الإخلاص المؤدِّي إلى القرب من رحمة الله وفضله. رُوِيَ عن رسول الله (ص) أَنَّهُ قَالَ: "اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ". فكلَّما رِقَّ قلب الدّاعي كلما كان مهيباً لاستقبال ذخائر الرحمة الإلهية، وتحقق قصده في الاستجابة، وعن الإمام الصادق (ع): "إذا اقشَعَرَّ جِلْدُكَ ودَمَعَتْ عَيْنَاكَ ووَجَلَّ قَلْبُكَ فَدُؤْنِكَ دُؤْنَكَ فَتَقَدِّمْ قَصْدَكَ قَصْدَكَ". قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ خَائِفاً مُخْفِيَةً) (الأعراف/ 55). وفيما أوحى الله إلى موسى (ع): "يا موسى، كُنْ إِذَا دَعَاؤُكَ خَائِفاً مُخْفِيَةً وَجَلَّ عَفْوَكَ وَجَهْلُكَ لِي فِي التَّوْبِ وَاسْجُدْ لِي بِمَكَارِمِ بَدَنِكَ وَقُنْتُ بَيْنَ يَدَيَّْ فِي الْقِيَامِ وَنَاجِنِي حِينَ تُنَاجِيَنِي بِخَشْيَةٍ مِن قَلْبِي وَجَلَّ".

السادس - عدم القنوط: على الدّاعي أن لا يقنط من رحمة الله، ولا يستبطن الإجابة فيترك الدُّعاء؛ لأنَّ ذلك من الآفات التي تمنع ترتُّب أثر الدُّعاء، وهو بذلك أشبه بالزارع الذي بذر بذراً فأخذ يتعاهده ويرعاه، فلمَّا استبطن كماله وإدراكه أهمله. فعن أبي بصير، عن الإمام الصادق (ع) أَنَّهُ قَالَ: "لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ وَرَجَاءٍ رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يُسْتَعْجِلْ وَيَقْنَطْ وَيَتْرُكْ الدُّعَاءَ، قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَاؤُكَ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا

وَمَا أَرَى الْإِجَابَةَ".

السابع - الإلحاح بالدُّعاء: في حال تأخُّر الإجابة، يجب معاودة الدُّعاء والإلحاح في المسألة، فلعلَّ تأخير الإجابة لمنزلة الداعي عند الله سبحانه، فهو يُحبُّ سماع صوته والإكثار من دعائه، فعليه أن لا يترك ما يُحبُّه الله سبحانه، فقد روي عن الإمام الباقر (ع) أنَّه قال: "إنَّ المؤمنَ يسألُ الله عزَّ وجلَّ حاجةً فيؤخِّرُ عنه تَعَجُّيلَ إجابتهِ حُبًّا لِمصَوِّتهِ واستِماعِ نَحْيِهِ". وعليه، فيجب الإلحاح بالدُّعاء في جميع الأحوال، ولما في ذلك من الرحمة، والمغفرة، واستجابة الدعوات، وعن رسول الله (ص): "رَحِمَ اللهُ عَبْدًا طَلَبَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً فَأَلَحَّ فِي الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ".

الثامن - الدُّعاء في الرخاء: من آداب الدُّعاء أن يدعو العبد في الرخاء على نحو دعائه في الشدَّة، لما في ذلك من الثقة بالله، والانقطاع إليه، ولفضله في دفع البلاء، واستجابة الدعاء عند الشدَّة، وقد روي الإمام الصادق (ع): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ فِي الشَّدَّةِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ".

التاسع - أن يكون عالي الهمة فيما يطلب: أن يدعو الله سبحانه وتعالى بمرغبات الأمور التي لا يمكن تحصيلها إلا ببذل الهمم. فقد ورد عن الإمام الكاظم (ع) أنَّه قال: "بَكَى أَبُودَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اشْتَكَى بِصَرِّهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ دَعَاكَ أَنْ أَنْ يَشْفِيَ بِصَرِّكَ، فَقَالَ: إِنَِّّي عِنْدَ لَمَشْغُولٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِِّي. قَالُوا: وَمَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: الْعَظِيمَتَانِ: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ". ومن القصص الجميلة، ما روي عن ربيعة بن كعب أنَّه قال: "قال لي ذات يوم رسول الله (ص): يا ربيعة، خدمتني سبع سنين أفلا تسألني حاجة؟ فقلت: يا رسول الله، أمهلني حتى أفكِّر. فلمَّا أصبحت ودخلت عليه، قال لي: يا ربيعة، هات حاجتك. فقلت: تسألني أن يدخلني معك الجنة. فقال لي: مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ فقلت: يا رسول الله، ما عَلَّمَنِي أَحَدٌ، لكنني فكَّرت في نفسي، وقلت: إن سألته مالاَّ كان إلى نفاذ، وإن سألته عمراَّ طويلاَّ وأولاداَّ كان عاقبتهم الموت. قال ربيعة: فنكَّس رأسه ساعةً، ثمَّ قال: أفعل ذلك، فأعزَّيت بكثرة السجود".

العاشر - الاضطرار إلى الله تعالى: روي أنَّه قال رسول الله (ص): "ادْعُنِي دُعَاءَ الْحَزِينِ الْغَرِيْقِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغِيثٌ، يَا عَيْسَى سَلْنِي وَلَا تَسْأَلْ غَيْرِي فَيَحْسُنَ مِنْكَ الدُّعَاءُ وَمِنِّْي الْإِجَابَةُ". ويقول الله تعالى: (أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرِّينَ إِذَا دَعَاَهُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ بِاللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (النمل/ 62). والاضطرار أن يقطع الإنسان أمله من كل سببٍ سوى الله سبحانه، وأن يجعل قلبه وروحه بين يدي رحمة الله، وأن يرى كلَّ شيءٍ منه وله، فيربط الأسباب بمسببها الأول والحقيقي الذي لا يخرج شيء في هذا الوجود من تحت دائرة سلطانه، عن النبي (ص) قال: قال الله عز وجل: "ما من مخلوقٍ يعتصمُ بربِّه دونَ خَلْقِي إِلَّا ضَمَمْتُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رِزْقَهُ، فَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطَيْتُهُ، وَإِنْ اسْتَغْفَرَ نِي غَفَرْتُ لَهُ".